اضواء على مولف مخطوط

نقائض جرير والاخطل

للمحقق الاستاذ هاشم الطعان

مقدمة :

منذ اعوام عدة ، وكان الصديق الدكتور عبد المجيد الحسيني قد نشر كتابه عن نقائض جرير والأخطل (١) ، تطرق بنا الحديث الى موضوع كتابه نقائض جرير والاخطل المنسوب الى ابي تمام . والذي حققه وطبعه الاب صالحاني اليسوعي سنة ١٩٢٢ . وعلمت منه حينذاك ان الرغبة تراوده على اعادة تحقيقه ونشره ، اذ ان نسخه كانت نفدت من الاسواق ، كما ان ظهور كثير من الكتب المطبوعة حديثا ، (مثل ديوان جرير (٢) الذي حققه الدكتور نعمان محمد امين طه ، وديوان الأخطل (٣) الذي حققه الدكتور فخر الدين قباوة ونشره عن نسخة طهران الخطية) ، اضاف شيئا من وضوح الى بعض ما اشكل امره من النصوص والشروح ، مما يساعد في التحقيق . ثم اطلعني على انه قد حصل على صورة للنسخة الخطية المحفوظة في الكتبخانة العمومية ببايزيد في استنبول ، والتي اعتمدتها طبعة اليسوعيين ؛ وانه على الرغم من تكبده المشاق في البحث عن طبعة اليسوعيين هذه في المكاتب العامة والخاصة ، فانه لم يستطع التوصل الى نسخة منها هنا في الاردن . عند ذاك اخبرته بوجودها في مكتبتي ، ثم اعرته اياها ، لكنه اعادها بعد فترة مبينا لي أنه قد غض النظر عن

---

(١) من منشورات مكتبة المحتسب ودار الفكر سنة ١٩٧٢ .

(٢) نشرته دار المعارف بمصر في مجلدين سنة ١٩٦٩ و ١٩٧١ ضمن سلسلة ذخائر العرب .

(٣) صدر عن دار الاصمعي بحلب في جزأين سنة ١٩٧١ .

اعادة تحقيق الكتاب . ولعل مـــا حداه على ذلك ظهور طبعة حديثة مصورة عن الطبعة القديمة للكتاب (٤) . ولست ادري انفض الدكتور المحتسب يده من الكتاب وتحقيقه ام لا ، وارجو الا يكون فعـــل ؛ ولكن ما دعاني الى ذكر هـــذه المقدمة هو حديث كنـــا طرقناه عن توثيق نسبة الكتاب الى ابي تمام ، وما ذكره الدكتور المحتسب في كتابه (٥) عن شكّه في هذه النسبة . وآنذاك كان في نفسي ايضا ما فيها من هـــذا الأمر ، فرجوته لو قام في مقدمته لتحقيقه الجديـــد الكتاب ، بدراسة يتحرى فيهـــا المؤلف الحقيقي او على الأقل من يرجح نسبة الكتاب اليـــه . ولكن صرفه النظر عن اعادة تحقيق الكتاب حملني على ان اقوم بهذا البحث ، اكمالا لموضوع ترك ناقصا ، واثر حوله الكثير من التساؤل والتشكيك ، علني اقف على جليـــة وضع القديس ، وملسر الشكل .

العوامل الداعية الى الارتياب في مؤلف الكتاب :

لعل اول من رفض نسبة النقائض الى ابي تمام كان العلامة الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ؛ فقد قال في مقدمته لكتاب الوحشيات (٦) ان الكتاب « ليس له البتة . واظن بعد الوقوف على ما في فهرست النديم انه للاصمعي ، كما وردت فيه كتبته ابو سعيد غير ما مرة ، وذلك برواية السكـــري عن اصحابـــه » (٧) .

كما ابدى الاستاذ المحتسب شكه ايضا في نسبة هـــذا الكتاب الى ابي تمام . وكان دافعه الى ذلك امور منهـــا :

---

(٤) اعادت طبعها بالاوفست دار الشرق ببيروت دون ذكر سنة الطباعة .

(٥) ص (١٧) .

(٦) شارك في تحقيقه الاستاذ محمود محمد شاكر ونشرته دار المعارف بمصر ضمن سلسلة ذخائر العرب سنة ١٩٦٣ .

(٧) ص (٥) .

« اولا : ان هذه النقائض غير مسندة الى ابي تمام عن احد من الرواة العلماء ؛ فلم يَروِها احد من الرواة عن ابي تمام ، كما نرى في مصنفات القرنين الثاني والثالث الهجريين ، او كما نرى ذلك عند زميلتها نقائض جرير والفرزدق . وهذا واضح من عنوان الكتاب وبدايته ؟ فعنوان الكتاب : نقائض جرير والاخطل ، تاليف الامام الشاعر الاديب الماهر ابي تمام . وبدايته هي : نقائض جرير والأخطل ، تاليف الامام الشاعر الاديب الماهر ابي تمام رحمه الله آمين . بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ربنا وحده واهله وصلى الله على محمد وآله . كان من حديث مضر قيس وتغلب ان معاوية بن ابي سفيان هلك واستعمل ابنه يزيد بن معاوية فبايعه الناس ما خلا هذا الحي من قيس السخ . . . .

« ثانيا : لا نرى ذكرا كثيرا في هذه النقائض لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، وهو الذي اعتمد عليه ابو عبيدة وغيره من العلماء في نقل كثير من اخبار جدّه جرير واشعاره ؛ مع العلم بان ابا تمام وعمارة كانـــا متعاصرين .

« ثالثا : لم نسمع عن ابي تمام بانه لُقّب « الامام الشاعر الاديب الماهر » في غير هذا الكتاب ؛ والدارج اسمه حبيب بن اوس الطائي ، وكنيته ابو تمام . ونرى ذلـــك واضحا في اشهر اختاراته : الحماسة ، والوحشيات ، وهو الحماسة الصغرى ، ومختار اشعار القبائل » (٩) .

---

(٨) هذا ما جاء في طبعة اليسوعيين . اما النسخة الثانية فجاء اسم الكتاب والمؤلف في صفحة الغلاف فقط ، وابتدات الصفحة التالية بالبسملة .

(٩) نقائض جرير والاخطل ـــ تاليف الدكتور عبد المجيد الشطي ، ص (١٧ ـــ ١٨) .

لا ريب في أن هذه الاعتراضات كلهـا لها وجه وقيمة ، بالاضافة الى ما ذكره العلامة الميمني (١٠) من ان اسم المؤلـف كان اضيف الى صفحة الغلاف بخط حديث مخالف لخط النسخة الأصل . وهذا كاف لان يدعو الى الشك والتساؤل ، فكيـف وقد اضيف اليه امور تؤكد هذا الشك وتزيد من هذا التساؤل ؟ لذلك وجدت نفسي ضمن المرتابين في صاحب الكتاب ؛ غير انني كنت اميل الـى الاعتقاد بأن مؤلفه هو ابن حبيب،لا الأصمعي كما خمن الاستاذ الميمني ، وذلك لاسباب سأذكر بعضها تاليا . ثم اني رجعت عن هذا الراي بعد ان وقفت على نصوص تخالـف ما كنت عليـه ، مما سأبينه فيما يلـي من فقرات .

نصوص مؤيدة لنسبة الكتاب الى ابي تمام :

قبل نحو سنتين وقعت علـى ثلاثة نصوص في كتاب « شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل » (١١) ينقل فيها الشهاب الخفاجي عن أبي تمام فقرات يستشهد بها . فهو يقول في كتابه (ص ٤٧) : « ابن المراغة : قال ابو تمام في شرح المناقضات : يقولون انها رذيلة ولدته في مراغة الدواب او كانت كالمراغة لمن ارادها . . . »

ويقول (ص ٩٧) مشيرا الى البيت :

ملاعبه جنّان كـأن ترابها اذا أُطَّرَدَت فيـه الرياح مغربلُ

« ذكره ابو تمام في شرح المناقضات »

---

(١٠) الوحشيات ـ المقدمة ـ ص (٥) والذي رأيته في النسخة المصورة للمخطوطة والمحفوظة في مكتبة الجامعة الاردنية يظهران صفحة الغلاف بكاملها كتبت بخط مغاير لخط النسخة الاصل .

(١١) للشهاب الخفاجي ـ تحقيق عبد المنعم خفاجي ـ المطبعة المنيرية بالازهر سنة ١٩٥٢

ويقول (ص ٢٠١) : « قال ابو تمام في شرح المناقضات : يقال سمع السيف اذا انتضاه . وانشد يزيد بن مفرّغ :

ويومَ فتحتَ سيفك من بعيد اضعتَ،وكلُّ امرك للضياع . . »

وبعد الرجوع الى كتاب النقائض وجدت النصوص الثلاثة هذه فيه . ففي ص ١٣٩ : « وقوله يا ابن المراغة : يقال انها ولدته في مراغة دواب ويقال بل كانت كالمراغة لمن ارادها . . » . ونجد في ص ٥٥ من النقائض ابا تمام يروي البيت الذي ذكره الشهاب للأخطل كما رواه في « شرح الغليل » . أما في الصفحة الثامنة من النقائض فنجد النص كما يلي : « . . . فقال أتينا والله ، افتحوا سيوفكم ، يريد انتضوها . فبلغ ذلك يزيد بن مفرغ فقال :

ويومَ فتحتَ سيفك من بعيد اضعتَ،وكلُّ امرك للضياع . . »

هذه النصوص تدلنا على أن الشهاب الخفاجي نقل من كتاب نقائض جرير والأخطل ونسبه الى أبي تمام . فهل في هذا ما يزيد الارتياب في النسبة ، أم ان النسخة الأصل التي نشر الكتاب عنها قد تكون وقعت في يد الشهاب ونقل عنها ، فموّه عليه ما أضيف الى العنوان وانتهى به الى الخطأ ؟ . .

نكاد نجزم بأن نسخة الشهاب هي غير نسختنا الآن ؛ فهو يسميها في المواضع الثلاثة « شرح المناقضات » . وربما اختصر هذا العنوان عن « شرح مناقضات جرير والأخطل » او « شرح المناقضات بين جرير والأخطل » مثلا ؛ فهو استعمل كلمة « شرح » وهي غير واردة في عنوان نسختنا ولا في نهايتها ؛ كما استعمل « المناقضات » بدل « النقائض » التي جاءت في أول نسختنا وآخرها . ونرجح ان الشهاب لو نقل عن نسختنا لكان اختصر الاسم الى « النقائض » او قال : « ذكره ابو تمام في نقائضه » مثلا . .

هذا القياس قمين بأن يجعلنا نتيقن من أن الشهاب الخفاجي اطّلع على نسخة ثانية من نقائض جرير والأخطل معزوّة لأبي تمام ، مما يعزز هـذه النسبـة .

ورغم أن هذا دليل قوي علـى ان الكتاب لأبي تمام ، واخلق به ان يكون حاسما ، الا انه لا يكفي في حالة وجود ادلة تتعارض وهذا الافتراض . لذلك اخذت على نفسي أن أُنقّر عن صحة مـا توسمه الشاكّون في هذا الامر ، عسى أن يكون الصواب حليفهـم . وكان عليّ قبل ان اصـل الى الراي الاخير الا الو جهـدا في وزن الحجج ، ورفض ما حقّه الرفض ، وترجيح مـا تصيبه الرجحان .

دراسة احتمالات اخرى لهوية المؤلف :

ذكر في الفهرست (١٢) ان نقائض جرير والأخطل صنعها ابو عمرو (الشيباني ؟) والأصمعي ، واثبت ذلـك بطريقة قد توحي بأن ابا سعيد السكري صنعها ايضا . فهل كانت النسخـة التي وصلت الينا من عمل الأصمعي وبرواية السكري كمـا رجح العلامة الميمني ؟ .

لمعرفة ذلك قمت بحصر الرواة والشُرّاح من العلماء المعروفين الذين مُرَّ ذكرهم في الكتاب ، لعـلّ ذلك يقودُنا الى نتائج تلقـي ضوءا قد ينير الغموض الذي يحيط بمؤلف الكتاب . وهذه قائمة بهؤلاء الرواة والعلماء :

١ ـــ ابو سعيد ، وسننظر في هويته فيما بعد ٩ مرات

٢ ـــ ابو عمرو الشيباني اسحٰق بن مرار . كوفي نزل بغداد . توفي سنة ٢٠٦ او ٢١٣ او ٢١٦ هـ . ٥ مرات

---

(١٢) الفهرست ـ تحقيق رضا تجدد ـ طهران ١٩٧١ ص (١٨٠) .

٣ — الأصمعي عبد الملك بن قريب . بصري . كانت وفاته سنة ٢١٦ أو ٢١٧ هـ ٤ مرات

٤ — ابو عبيدة معمر بن المثنّى . بصري . كانت وفاته سنة ٢٠٨ أو ٢٠٦ هـ ٤ مرات

٥ — هشام بن الكلبي ابو المنذر . كوفي نزل بغداد وتوفي في الكوفة سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ هـ . كان الاصمعي يتهمه (١٣). ٣ مرات

٦ — ابن عياش عبد الله المنتوف ابو الجراح الهمذاني الكوفي توفي سنة ١٥٨ هـ مرتان

٧ — الفراء يحيى بن زياد ابو زكريا . كوفي توفي سنة ٢٠٧ هـ مرتان

٨ — ابن الاعرابي ابو عبد الله محمد بن زياد . كوفي توفي سنة ٢٣١ هـ مرتان

٩ — الكسائي علي بن حمزة . كوفي نزل بغداد وتوفي سنة ١٨٠ أو ١٨٣ أو ١٨٩ هـ مرة واحدة

١٠ — الهيثم بن عدي . كوفي بغدادي توفي سنة ٢٠٦ أو ٢٠٧ أو ٢٠٩ هـ مرة واحدة

١١ — الأثرم علي بن المغيرة ابو الحسن . بصري نزل بغداد . توفي سنة ٢٣٢ هـ مرة واحدة

١٢ — الجهضمي نصر بن علي . بصري نزل بغداد وتوفي سنة ٢٥٠ هـ (او ابوه علي بن نصر المتوفى سنة ١٨٧ هـ) مرة واحدة

---

(١٣) انظر لسان الميزان لابن حجر — نسخة بالاوفست عن طبعة حيدر اباد الدكن سنة ٢٩ — ١٣٣١ هـ ج ٦ ص ١٦٦ .

١٢ـــ عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير . من اليمامة سكن بادية البصرة وزار بغداد . توفي سنة ٢٣٩ هـ مرة واحدة

مما تقدم نستبعد أن يكون الكتاب للاصمعي ، فقد ورد لقبه غير مكنى اربع مرات ، كما ان مجموع مـــا روي عن ابي عبيدة وابي عمرو الشيباني وابن الاعرابي يكاد يتساوى مع مـــا روي عنه باللقب والكنية . ومن الغريب أن يذكر كتاب الأصمعي بالكنية مجردة ، مما يوحي بأنه اتصل به وقرأ عليـــه ونقل عنه ، ثم يروي عن ابن الأعرابي والأثرم . كما اننا نستبعد أن يروي الأصمعي عن هشام بن الكلبي ، وكـــان يتهمه ، وهو بصري وهشام كوفي .

وقد نقلت كتب اللغة روايات وشروحا عن الأصمعي تخالف ما جاء في النقائض عن (أبي سعيد) . مما يرجح أن أبا سعيد هذا ليس بالأصمعي . من ذلك ما جاء في نقائض جرير والأخطل (ص ١٨) : « ناقع : ثابت ، قال ابو سعيد : سم ناقـــع أي قاتل » . في حين روى الأزهري في تهذيـــب اللغة (١٤) ـــ مادة نقع ـــ : « قال الأصمعي : . . . وسم ناقع ثابت . وقال ابن الاعرابي : النقيع السم الثابت . يقال سم منقوع ونقيع وناقع . . . . قلت (الأزهري) : يقال سم ناقع أي قاتل ، وقد نقعه اذا قتله . . . وهذا سماعي عن العرب » .

كما جاء في النقائض (ص ١٥٢) : « قال ابو سعيد : يقال اشـاطوا اذا رموا عليه ما يعقل (يقتل ؟) به . . » وروى التهذيب ـــ شاط ـــ (١٥) عن الأصمعي : « أشاط دم جزور اي سفكه ، . . واشـاط فلان فلانا اذا اهلكه » .

---

(١٤) نشرة الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٤ ـــ ١٩٦٧ بتحقيق جماعة من الاساتذة . انظر ج ١ ص ٢٦٢ من الكتاب .

(١٥) المرجع السابق ج ١١ ص ٢٩٠ .

كذلك جاء في النقائض (ص ٣) :

« وان عصفت عليكم فاعصبوا بها عصابا تستقر به شديدا

وان صعبت أجود ، قال ابو سعيد : وان عصفت اي كما تعصف الريح ، اي لم تطمئن بكم . . » وفي التهذيب ـ عصب ـ (١٦) : « روى ابو عبيد عن الأصمعي البيت : فان صعبت . . » .

كل هذا يدعونا الى التردد في قبول نسبة الكتاب الى الأصمعي ، ونرى ان واضع الكتاب من الذين رووا او اطلعوا على رواية تجمع بين البصريين والكوفيين ، وهذا ينطبق على أبي سعيد السكري . فهل اصاب العلامة الميمني في تقديره مرة اخرى ؟ .

نشك ان يكون السكري هو ابو سعيد واضع الكتاب ، وذلك لما يلي من الاسباب :

ا ـ لم يذكر الوسائلة في نقله عن الأصمعي وابي عبيدة ، وكان السكري في اكثر روايته عنهما يعتمد ابن حبيب ، ولكن هذا لم يمنعه ذكر في الكتاب .

ب ـ عمل السكري شعر الأخطل فجوده (١٧) ولكنا نجد ان شعر ديوان الأخطل الذي صنعه السكري قد امتلأ بالصنعة :

(حي الملامة اذ رحلن بكورا)

ولا يعقل ان يكون عرفها ولم يتبنها في الديوان .

---

(١٦) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٨ .

(١٧) الفهرست ص (١٧٩) .

كما نلاحظ اختلاف النصوص الشعرية والشروح في النقائض عنها في نسخ ديوان الأخطل ، سواء من حيث عدد الابيات او ترتيبها او الرواية فيها . نذكر من ذلك ان قصيدة الأخطل (الا يا اسلمي يا هندُ هندَ بني بدر) زادت في النقائض احد عشر بيتا عما جاءت في اكمل نسخ ديوان الأخطل . وتزيد قصيدة الأخطل :

(كذبتك عينك ام رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا)

بيتين عما في نسخ الديوان ، كما زادت النقائض عن نسخ الديوان بيتا في قصيدة الأخطل : (خف القطين فراحوا منك او بكروا) ، وكلها من اشهر قصائد الأخطل ؛ ومما كان السكري ليغفل منها ابياتا لو كان يعرفها .

اما اختلاف الرواية فكثير ، نذكر منه ما جاء في القصيدة الأولى من الديوان كمثال ، على الرغم من ان التفاوت فيها قليل مقارنة بغيرها من القصائد . وقد اعتمدنا لديوان الأخطل طبعة الدكتور فخر الدين قباوة عن نسخة طهران ، وطبعة الأب انطون صالحاني عن نسخة بطرسبرغ (١٨) :

رقم البيت	طبعة قباوة	طبعة صالحاني	النقائض
٢٧	وجوز فلاة ما يغمض	ما يغمض	ما يعرّس (مع شرح للتعريس)
٢٨	لا يهتدى له — وما	لا يهتدي له — وما	لا يهتدي به — ولا
٢٤	جنبنهـا	جنبنهـا	جبينـه

---

١٨) ديوان الأخطل — نشر الأب انطون صالحاني اليسوعي — الطبعة الثانية — دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) سنة ١٩٦٩ .

٢٧ــ بقايا قلات	بقايا قلات	بقايا رخاء (وفي الشرح قـــلات)
٥٠ــ (الشرح : هشام : هاشـــم بن عبـــد مناف ، ونوفل بن عبد مناف)		(الشرح : هشام بن المغـــيرة المخزومـــي ، ونوفل بن عبد مناف ، وعن ابـــن الأثير : هشـــام ــ الوليـــد ونوفل ــ المطلب)
٥٢ــ بما أحتفلت (ويروى بما أحتملت)	بما احتملت	لما احتملت
٤ ــ وشرّق للدهنا	(غير موجود)	(غير موجود)
٦٠ــ مطافـــل	مطافيـــل	مطاطيـــل
٦١ــ الى الله منها	الى الله منها	الى اللـــه فيها
٦٤ــ أتاك به الجحاف ــ وسط البيوت	اتـــاك بـــه الجحاف ــ عند البيوت	أدرك الجحاف ــ وسط البيوت (مـــع شرح لأدرك بما يؤكـــد الروايـــة)
٦٥ــ لقد كان للجيران	لقـــد كـــان للجيران	لقد كان في الفرقان ــ (الشرح يذكر الجيران)
٦٦ــ ونحيـــا	ونحيـــا	فنحيـــا
٦٨ــ وان تحملوا ــ وان ثقلـــت	وان تحملوا ــ وان ثقلت	فـــان تحملوا ــ وان عظمت .

اما اختلاف ترتيب الابيات فكثير جدا ، ولا داعي لاعطاء امثلة عليه .

جـ — تمر جمل تؤكد ان الراوي هو غير (ابي سعيد) ، كما جاء في الصفحة الاولى : « قال : واخبرني ابو سعيد عن ابن الكلبي ايضا » ، مما يفيد ان جامع الكتاب ليس ابا سعيد ، لان ابا سعيد السكري لم يرو مباشرة عن ابي سعيد آخر ، ولا يعقل ان يروي عن الاصمعي مباشـــــرة (١٩) .

لكل ما تقدم نتيقن انه من المستبعد ان يكون صاحب الكتاب هو الاصمعي او السكري ، فالادلة التي تنافي وهذه النسبة كثـــيرة ، فعلينا الان ان نبحث في اتجاه آخر لعلنا نصل الى خيط يقودنا نحو الحقيقة .

احتمال آخر :

خالجتني فكرة علقت بوهمي في ان يكون صاحب الكتاب هو ابن حبيب ، وان النسبة لأبي تمام كانت خطأ في القراءة ، حيث ان حبيبا هـــو اسم ابي تمام ، فاصل كلمة (ابن) كانت سقطت مـــن نسخةٍ أُمٍّ فجاء ناسخ وفسر حبيبا بأبي تمام . وابن حبيب قام بعمـــل نقائض جرير والفرزدق وديوان جرير . ولكنني بعدما تحريت جلية الامر تيقنت ان ابن حبيب ما جاز ان يكون مؤلف الكتاب ، واليك ما حملني على هـــذا التحقق :

ا — لم يمر ذكر لابن حبيب في الكتاب لا باللقب ولا بالكنية ، على كثرة ما ذكر من الرواة ، ونحن نعرف ان هذه الكتب كانت تدرس على الائمة وتروى عنهم ، فكان لا بد ان يظهر الاسم في ثنايـــا الكتاب كما هي الحال في نقائض جرير والفرزدق وديـــوان جرير . وللدكتور المحتسب تحفّظ على نسبة الكتاب لابـــي تمام مبني على المسألة نفسها (٢٠) . ولكننا سنعالج ذلك تاليا .

---

(١٩) ولد ابو سعيد السكري سنة ٢١٢ هـ ، وتوفي الاصمعي سنة ٢١٦ او ٢١٧ هـ .

(٢٠) نقائض جرير والاخطل تأليف الدكتور المحتسب ص (١٧) .

ب ـــ عندما روى ابن حبيب نقائض جرير والفرزدق عن أبي عبيدة ، واضاف اليها مما نقل شيئا وحذف شيئا ، لم يرو الجزء الأكبر (٢١) من نقائض جرير لشعر الفرزدق في عمله لديوان جرير ، مكتفيا بما جاء في النقائض ؛ وكذلك عمل في ديوان الفرزدق (٢٢) . لكنه لم يفعل ما يشاكل هذا في نقائض جرير للاخطل . بيد اننا لا نرى في ذلك دليلا قاطعا على أن ابن حبيب لم يتم بعمل هذه النقائض التي بين ايدينا ؛ اذ ربما كان قد قام بوضعها بعد عمله لشعر جرير . وقد ذكر ابن النديم ان ابن حبيب عمل نقائض جرير وعمر بن لجأ ؛ وربما كان صاحب (منتهى الطلب) نقل اشعار ابن لجأ عنها (٢٣) . وعلى الرغم من ان هذه لم تصل الينا ، الا اننا نرى كثيرا من اشعار هجاء جرير لعمر بن لجأ في ديوانه . لذلك لا يمكننا اعتبار هذا الامر قولا فصلا ، بل عاملا مرجحا يضاف الى غيره من الأدلة . ومع ذلك في الفقرة التالية ما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بان ديوان جرير كان يجب ان يسبق النقائض ، او مع ان هذه الأخيرة من عمل ابن حبيب .

جـ ـــ تختلف رواية شعر جرير في النقائض عما هي عليه في الديوان ، ولنمثل ذلك بالقصيدة الأولى في ديوان جرير (طبعة دار المعارف) :

في الديوان تتكون هذه القصيدة من ٥٣ بيتا ، في حين انها في النقائض تضم ٥٨ بيتا ؛ فهي تنقص ستة ابيات من رواية

---

(٢١) نعتقد أن ابن حبيب لم يرو جميع ما جاء في كتاب نقائض جرير والفرزدق الذي سلمه هو (راجع الفهرست ص ١١١٩) وان هذه النقائض تخالف نقائض ابي عبيدة (المطبوعة) في انها لا تشمل سوى نقائض جرير والفرزدق ، واصلحت نقائض جرير والبعيث وغسان السليطي . . . الخ . . وانا بحث في هذا الامر نرجو ان ينشر قريبا .

(٢٢) راجع ديوان الفرزدق تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوي ـــ الطبعة الاولى ـــ مطبعة الصاوي سنة ١٩٣٦ .

(٢٣) راجع (شعر عمر بن لجأ التيمي) جمع الدكتور يحيى الجبوري ـــ دار العروبة للطباعة سنة ١٩٧٦ ـــ ص (١٨) . وجميع ما جاء في منتهى الطلب نجده كذلك في هجاء جرير .

النقائض ، وفيها بيت غير موجود في النقائض . هذا الى تفاوت في تتالي الأبيات . أما تباين الرواية فيهما فكما يلي :

رقم البيت	الديوان	النقائض
٣ —	لم أر	لم نلق
٤ —	وكنت مربة (مع شرح المربة)	وكنت محلة (مع شرح المحلة)
٦ —	بعد الوجيف (مع شرح الوجيف)	بعد الذميل (مع شرح الذميل)
٩ —	يجعلن مدفع عاقلين ايامنا	فجعلن برقة عاقلين ايامنا (مع شرح مدفع)
١٠ —	اذا افتخرن	اذا اعتزين (مع شرح الاعتزاء)
١٢ —	لو ان — انزلا	ولو أن — انزل
١٤ —	حييت لست (مع ذكر رواية : كري فلست) اذ يخدن (مع شرح الوخد)	فيئي فلست (مع شرح فيئي) أذ يسقن (مع شرح الوخد !!)
١٧ —	بكل ابيض	بكل اشعث
٢٦ —	تكسر	تشد
٢٧ —	اباركم	ابادكم
٢٨ —	راياتهم	راياتنا
٢٩ —	تجمع (وكررها في الشرح)	تجزر

رقم البيت	الديوان	النقائض
٣٢ــ	لقيت	رأيت
٣٣ــ	فاعترف	فاستجبر
٣٤ــ	لو أن	ولو أن
٣٦ــ	معشر (مع ذكر رواية ندرا)	صدرا
٣٧ــ	راحت خزيمة	وردا بلادك
٣٩ــ	ما كنت تلقى ــ اذا ركبوا	ما كان يوجد ــ اذا غزوا
٤٠ــ	صبّحن	فصبّحن
٤٢ــ	لتحرمنّ	لقد حرمت
٤٦ــ	تحوي النهاب	تسبي النساء
٤٨ــ	احسابها	اخلابها
٥١ــ	ورميت ــ فقد لقيت	ارميت ــ لقد لقيت

ولم يرد في النقائض البيت رقم ٥٢ في الديوان

اما الأبيات التي لم ترد في الديوان ووردت في النقائض فهي الأبيات من ٤٦ ــ ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٥ حسبما جاءت في النقائض .

وربما امكننا تفسير زيادة ابيات هذه القصيدة في النقائض عما هي عليه في الديوان ، بكون النقائض قد وضعت بعد صنع الديوان ، وهذا يناقض ما حاولنا اثباته في الفقرة السابقة . الا ان ذلك لا يساعدنا في تبيان سبب نقصان بعض قصائد جرير في النقائض عنها في الديوان . فقصيدة (وَدِّع امامة حان منك رحيل) ، مثلا ، تنقص ١٤ بيتا . ثم كيف يمكننا

تفسير الاختلاف في الشرح ، كما جاء في شرح الهذيل (البيت السابع من هذه القصيدة) والوريمة (البيت العاشر منها) .

وقد تكرر الاختلاف في الشرح بين الديوان والنقائض ، نذكر من ذلك شرح (رويل) و (ذات الفلس) و (الاشكل) ـــ الديوان ص ١٤١ و ١٤٣ ، والنقائض ص ٦٦ و ٦٨ و (اوزار الحرب) و (يوم حزه) و (الحومة) ـــ الديوان ص ٢٦٢ و ٢٦٣ ؛ والنقائض ص ٤٦ .

كل هذا ـــ مجتمعا ـــ يحدونا على اسقاط احتمال ان يكون الكتاب من صنع ابن حبيب . ولا مناص بعد ذلك ـــ وقد اسقطنا من قبل احتمالات اخرى ـــ ولا غضاضة في أن نرجع الـــى نسبة الكتاب الى ابي تمام ، فنتوسم مدى صحتها ونسبر غور دلائلها الموافقة والمخالفة .

دراسة ما ورد في كل من النقائض وكتب ابي تمام الأخرى :

في هذه المقارنة السريعة بين النصوص المشتركة الواردة في كتاب النقائض والكتب الاخرى التي الفها ابو تمام ووصلت الينـــا ، نحاول ان نتلمس طريقا قد يوصلنا الى المؤلف الحق للكتاب . والنصوص المشتركة قليلة ، نظرا الى اننا لم نقع على جميع ما الف ابو تمام من الكتب . ولو بدانا بأكثر هذه الكتب أهمية ، وهو كتاب الحماسة (٢٤) ، لا ريب ، نجد أن النصوص المشتركة لا تزيد على اربعة ، هـــي :

١ ـــ قصيدة عمرو بـــن مخلاة الحمار الكلبي ـــ النقائض ص ١٨ ـــ ومطلعهـــا :

---

(٢٤) اعتمدنا في دراستنا للنصوص الحماسية ، شرح الحماسة للمرزوقي ، تحقيق عبد السلام هارون واحمد امين ـــ الطبعة الثانية ـــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٧ ـــ ١٩٧٢ .

ويوم ترى الرايات فيه كأنها عوائق طير مستكير وواضح

وردت في النقائض في ١٢ بيتا ، اختار منها ابو تمام في الحماسة — ص ٦٤٧ — ستة أبيات هي ذوات الأرقام ١ ، ٢ ، ٥ ، ٧ ، ٦ ، ٩ . وفي روايتها بعض الاختلاف . نوجزه بما يلي :

رقم البيت	النقائض	الحماسة
١ —	عوائف	حوائم
٣ —	أجابت (وهو تحريف ناسخ)	أصابت
٧ —	صبور	ناصر

ونلاحظ اجمالا أن الاختلاف بين ، ينضاف الى ذلك ان اسم الشاعر جاء في كلا الكتابين « عمرو بن مخلاة الكلبي » .

ب — قصيدة جواس بن الغمطل الكلبي — النقائض ص ١٦ — ومطلعها :

وكم من أمير قبل مروان وابنه كشفنا غطاء الموت عنه فأبصرا

وابياتها في النقائض ١٢ ، اختار منها ابو تمام في الحماسة — ص ١٤٩٢ — سبعة ابيات ، ترتيبها : ٨ ، ٦ ، ١٠ ، ١ ، ٤ ، ٧ ، ٦ . والاختلاف في الرواية كما يلي :

رقم البيت	النقائض	الحماسة
١ —	كم ، غطاء الموت	نكم ، غطاء الثم
٢ —	ومستلحم نفست — بقاتله	ومستلئم نفس ، نواجذه
٦ —	اذا فاخر	اذا افتخر
٧ —	وما كان في قيس بن غيلان سيد	نما كان في قيس من ابن حفيظة

وجميع الاختلافات (ما عدا ما جاء في البيت السادس) ذكرها المرزوقي كرواية اخرى للابيات ، مما يؤكد لنا انها الرواية ، وغيّرهـا ابو تمـام لتلائم ذوقـه ، جريا علـى عادته في تغيير النصوص (٢٥) .

وقد ورد اسم الشاعر في الكتابين : « جواس الكلبيّ مـن بني عدي بـن جناب » .

جـ ـ بيتان الحصين بن الحمام في النقائض ـ ص ١٢ ـ اولهما :

فلست بمبتاع الحياة بسبّة ولا مرتقٍ من خشية الموت سُلّما

جاء هذا البيت آخر ١١ بيتا رواها ابو تمام في الحماسة ـ ص ٢٩٢ ـ وجاء فيها (بذلّة) بـدل (بسبّة) . وذكر المرزوقي رواية النقائض ضمن الشرح .

د ـ بيت واحد مرّ في الشرح ـ النقائض ص ٢٨ ـ وهـو :

اذا كنتُ في قومٍ عدىٍّ لست منهمُ فكُلْ ما عُلِفْتَ من خبيث وطيّبِ

جاء آخر ثلاثة ابيات في الحماسة ـ ص ٣٥٩ ـ برواية : (ولم تك منهم) . واشار المرزوقي في شرحه الى رواية النقائض .

هذا كـل ما جاء في الحماسة مشتركـا مع النقائض . امـا ما جاء فـي الوحشيات والنقائض فهـو قليل كذلك ، نجمله فيما يلـي :

ا ـ ابيات غلفاء بن الحارث الخمسة الواردة في النقائض ـ ص ٧٤ ـ واولهـا :

---

(٢٥) كان أبو تمام يصلح من النصوص التي يرويها أن وجد فيها ما يجافي ذوقه الفني . راجع شرح الحماسة للمرزوقي جـ ١ ص ١٤ .

ان جنبي عن الفراش لنابي كتجافي الأسرّ فوق الطارف

جاء منهـا اربعة أبيات في القصيـدة ٢١٢ من الوحشيات — ص ١٣٣ — وعدد ابياتها هناك ١١ ؛ أما البيت الذي لم يرد في الوحشيات فهـو الخامس في النقائض ؛ والرواية واحدة ولا اختلاف الا في البيت الثاني حيث جاء في النقائض : (ومـا أسيغ) وفي الوحشيات : (ولا يسوغ) .

ب — قصيدة زفر بن الحارث — النقائض ص ٢٤ — وعدد ابياتها ١١ ، واولهـا :

ارينـي سلاحي لا أبالك انني ارى الحرب لا تزداد الا تماديا

اختار منها أبو تمام ٨ أبيات في الوحشيات — ص ٥٠ — وجاء ترتيبهـا ٨ ، ٧ ، ١١ ، ١٠ ، ٤ ، ٥ ، ١ ، ٣ ، ثم بيتا غير موجود في النقائض . أما الاختلاف في الرواية فهو يلي :

رقم البيت	النقائض	الوحشيات
١ —	ارينـي	ايني
٤ —	ولا تفرحـوا	ولا تعجبوا
٥ —	فقـد ينبـت	وقد ينبت
١٠ —	ولـم	فلـم
١١ —	بالصعيد ولا — من القوم	في القرين فلا — من الناس

جـ — أبيات النجاشي الثلاثة — النقائض ص ١٢٦ — وأولهـا :

اذا الله عادى اهل لؤم ورقة فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

جاءت في الوحشيات — ص ٢١٥ — بترتيب ١ ، ٢ ، ٦ ، ثم

ستة أبيات . وفي رواية البيت الأخير بعض الاختلاف اذ جاء في النقائض : (خذ الصحن فاحلب) وفي الوحشيات (خذ القعب واحلب) .

د ـ بيت عميرة بن طارق الذي جاء في الشرح ـ النقائض ص ٩٠ ـ وهو :

ولو انها عصفورة لحسبتها مسوَّمة تدعو عبيداً وأزنما

وقد ضمن ثلاثة أبيات في الوحشيات ـ ص ٢٣٠ ـ ونسبها للعوام أحد بني شيبان بن ثعلبة (وهو الصواب) . ولعميرة بن طارق قصيدة على نفس الوزن والروي (٢٦) لعلها السبب في اختلاف النسبة .

المقارنة بين هذه النصوص ، والاختلاف في الرواية فيها عما هي عليه في كتب أبي تمام الأخرى ، قد تقودنا الى الظن بأن النقائض ليست له ولا مما نعرفه عن أبي تمام من تغيير وتعديل في النصوص الشعرية التي نقلها في الحماسة والوحشيات ، بقصد تحسين النص ، وذلك أن الشعراء كانوا يلقون الكلام على عواهنه ولا يهتمون كثيرا بالصنعة ، فتصدر عنهم فلتات كان أبو تمام بطبعه السليم يصلحها ، بحيث تسلم نصوصه المختارة من الشوائب . بل اننا نراه يغير في روايته للنصوص المشتركة بين الحماسة والوحشيات ، فقد جاء في الحماسة ـ ص ١١١٢ (عن التبريزي) ـ بيتان رواهما أبو تمام في الوحشيات ـ ص ١٧٥ ـ باختلاف بينه فيما يلي :

---

(٢٦) راجع نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة تحقيق بيفان ـ مطبعة بريل ـ ليدن سنة ١٩٠٥ ـ ١٩١٢ ص (٥١) .

رقم البيت	الحماسة	الوحشيات
١ —	وأب بر — تفرق	وأب وابن — يتشمر
٢ —	عن كل من — عن كل من	عن كل ما — عن كل ما

اما الحماسية رقم (٦٦٦) — ص ١٥٣٦ — ، وهي ثلاثة ابيات ، تشترك ببيت واحد مع المقطوعة رقم (٣٦٩) في الوحشيات — ص ١٢٤ — والمكونة من ستة ابيات ، مما يترك في المقطوعتين سبعة ابيات غير مشتركة . والحماسية رقم (٧١٦) — ص ١٦٢٥ — ذات الابيات الثلاثة تختلف بعض الاختلاف عنها في مختار أشعار القبائل ، الذي روى المرزباني منها عنه أربعة أبيات في كتابه « أشعار النساء » (٢٧) — ص ١٦٢ — والاختلاف هو التالي :

رقم البيت	الحماسة	مختار اشعار القبائل
٢ —	الراقصات التي مشى	الراقصات تقول
٣ —	وانشد	فانشد

وهذا داب ابي تمام في تغيير النصوص . فلا يمكننا اذن ان نعتبر اختلاف الرواية اساسا لرفض نسبة القطعتين الى ابي تمام ، بل اننا نجد في تشابهه بعض النصوص دافعا لنا الى القول بامكانية نسبة الكتاب اليه .

---

(٢٧) اشعار النساء للمرزباني تحقيق الدكتور سامي مكي العاني وهلال ناجي — دار الرسالة للطباعة — بغداد سنة ١٩٧٦ .

مناقشة الأدلة الداعية الى رفض النسبة .

بعد ان رجح عندنا احتمال نسبة الكتاب الى ابي تمام ، علينا أن نبحث في نقاط اعتبرت دليلا على فساد هذه النسبة ، فنمحصها لنتوصل الى مدى جديتها وصلاحيتها لترجيح رفض النسبة .

ذكر الميمني في مقدمتـــه لكتاب الوحشيات (٢٨) ـــ في معرض وصفه لأصل الكتاب ـــ ان « بعض المتأخرين لما رأى عنوانه غفلا عن ذكر المؤلف ، زاد بخطه الفارسي : تأليف الامام الشاعر الأديب الماهر ابي تمام . وهو اختلاق منـــه قبيح . . . الخ . . . » .

ولا ريب في ان اضافة كاتب متأخر شيئا الـــى نسخة قديمة امر يدعو الى الشك في صحة هـــذه الاضافة ، ولكنه ليس بالضرورة اثباتا لبطلانها ، فربما كان الكاتب نقلها عن ورقة مهترئة او سطر مطموس ذهب مـــع الزمن ، او كان اطلع على نسخة أخرى مـــن الكتاب . وكثير من هـــذه الاضافات على الأصول القديمة ثبتت صحته . ولنمط مثلا على ذلك النسخة الأصلية لكتاب « طبقات فحـــول الشعراء » التي نشر عنها الاستاذ محمود محمد شاكر طبعته لهـــذا الكتاب (٢٩) ـــ وقد اخترت هذا المثل لان محقق الكتاب شاركه العلامة الميمني في تحقيـــق كتاب الوحشيات الذي ذكرت ما جاء في مقدمته آنفا ـــ فقد كتب علـــى غلافها بخط فارسي اسم الكتاب « طبقات الشعراء احمد بن سلام » تفسيرا للعنوان المطموس . فهـــل يجوز لنا أن نرفض نسبة الكتاب الـــى ابن سلام ، لا لشيء الا لأن احدهم اضاف اسم الكتاب ومؤلفه الـــى الغلاف ؟

---

(٢٨) الوحشيات ـــ المقدمة ـــ ص (ه) كما مر سابقا .

(٢٩) طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدني سنة ١٩٧٤ .

اما تلقيب ابي تمام بـ « الامام الشاعر الاديب الماهر » فلا دليل فيه على عدم صحة نسبة الكتاب ، اذ ان النساخ المتأخرين اعتادوا اضافة مثل هذه الصفات الى اسماء المؤلفين ، كالعالم العلامة والحبر النحرير الشيخ . . . ، والنسبة جاءت متأخرة ولا شك ، بدليل على ذلك الخط الذي كتبت به ، وهو خط متأخر .

اما عدم ذكر رواية عمارة بن عقيل في النقائض كثيرا (٣٠) فليس دليلا على عدم صحة النسبة ، اذ لم يصل الينا ما يشير الى ان ابا تمام قد لقي عمارة واخذ عنه ، على الرغم من كونهما متعاصرين . بل ان ما وصل الينا في « اخبار ابي تمام » (٣١) للصولي يعطينا انطباعا بأن عمارة لم يلق ابا تمام ، بل كان اعجب بشعره عندما سمعه ، واثنى عليه حين سئل عنه .

بقيت مسألة ذات اهمية ذكرها الدكتور المنتسب ، هي ان هذه النقائض جاءتنا غير مسندة الى أبي تمام عن احد الرواة العلماء ، سنذكر تفسيرنا لها في فقرة تالية .

المصادر التي اخذ عنها ابو تمام مادة كتاب النقائض :

لكي نزيل آخر ما علق بأنفسنا من شك فيما كان من عزو الكتاب الى ابي تمام ، علينا ان نتوصل الى معرفة الطريق التي نقل عنها كتابه ، فهو يروي فيه عن اشخاص لم يقرأ عليهم او يلقهم : فالسند روى عن الكسائي والفراء وابي عبيدة والاصمعي وابي عمرو الشيباني ، ومعظم

---

(٣٠) ذكر مرة واحدة من (٦٧) .

(٣١) تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد عبده ونشر الاستاذ الهاشمي ، الطبعة المصورة بالافست طبع المكتب التجاري بيروت — وراجع فيه من (٥٩ — ٦٢) .

تعرف قبل ولادته ، وبعضهم قبل مجيئه الى بغداد ؛ فلا بد أن تكون هناك وساطة أو تفسير آخر لهذه المسألة .

ولو رجعنا الى ما كان قصه التبريزي في مقدمة شرحه لديوان الحماسة من احتباس ابي تمام عند أبي الوفاء بن سلمة بسبب هطول ثلج عظيم ، فشغل وقته هناك بالمطالعة في خزانة كتبه ، والتأليف ؛ فصنف خمسة كتب منها كتاب الحماسة ، والوحشيات ، لوصلنا الى حقيقتين : الأولى أنه صنف كتبه معتمدا على خزانة كتب ابي الوفاء ، بالاضافة الى ما كان يحفظه ؛ وهذا قد يفسر نقله عن الكسائي والفراء وغيرهما من تقدم زمنه . والثانية أنه صنف خمسة كتب هي : الحماسة — التي سماها أبو تمام « الاختيارات من شعر الشعراء » — والوحشيات ، ومختار أشعار القبائل ، ومحول الشعراء . واذا سلمنا بأن الحماسة هو كتاب الاختيارات (كما ذكر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي) (٢٢) ، يبقى لدينا كتاب خامس من تأليف أبي تمام لاندري ماهو ، ولعله نقائض جرير والأخطل .

بقي علينا ان نتحدث عن أبي سعيد ، الذي يذكره أبو تمام بالكنية مجردة (٢٣) ، فهو اما أن يكون عالما مشهورا بكنيته دون اسمه أو لقبه ، ونقل ابو تمام عنه من الكتب . (ولكن هذا الافتراض يتداعى اذا لاحظنا أن أبا تمام يقول في كتابه « وأخبرني أبو سعيد » (٢٤) ، ونستبعد أن يكون قالبا شاملا كما كان يفعل بعض العلماء عند رواية بعض الكتب اجازة) ، واما أن يكون شخصا لقيه ابو تمام وأخذ عنه ؛ وهذا هو الافتراض الاكثر احتمالا . فمن يكون ابو سعيد في هذه الحالة ؟

---

(٢٢) ديوان الحماسة — مختصر شرح التبريزي — تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي — مكتبة محمد علي صبيح سنة ١٩٥٥ — ص (٣) .

(٢٣) مر ذكر أبي سعيد تسع مرات وذلك في الصفحات ١ ، ٢ ، ٧ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٦٢ ، ١٥٣ ، ١٦٥ .

(٢٤) ص (١) من الكتاب .

نعرف أن أبا تمام عندما قصد عبيد الله بن طاهر بمادحيه ، وجد عنده أبا العميثل وأبا سعيد الضرير (٣٥) ، وبعد جفوة اللقاء الأول توطدت عرى الصداقة بينه وبينهما . وأبو سعيد هذا كان من علماء العربية ، وثقه الأزهري (٣٦) وروى عنه . وقد روى عن الأصمعي ، ولقي أبا عمرو الشيباني وابن الاعرابي ، كما أخذ عنه ابن قتيبة . أما اسمه فهو الحسن بن خالد المباركي ، لكنه اشتهر بالكنية واللقب . ولأبي سعيد هذا اهتمام خاص بالنقائض . جاء في انباه الرواة (٣٧) خلال ترجمة أبي بكر القاري الرازي : « رأيت نسخة من النقائض ، رواية ابي بكر القاري عن أبي سعيد أحمد بن خالد في مجلدين » . ثم انه كان أخذ عن ابي عمرو الشيباني — الذي عمل نقائض جرير والأخطل (٣٨) — وابن الأعرابي — الذي روى شعر جرير وشعر الأخطل — فلا يبعد أن يكون أبو تمام نقل عنه بعض مادة النقائض هذه مباشرة . ونرى نحن أن مادة النقائض جمعها أبو تمام مما رواه عن أبي سعيد الضرير — ولم يذكر لقبه في كتابه ، لتربه منه به ، وعدم احتمال الالتباس فيه — بالاضافة الى ما رواه عن غيره وربما جمعه من كتب ابن سلمة . ونكاد نرى تأثير أبي سعيد هذا في رواية كثير من النصوص الشعرية التي تعتمد رواية ابن الأعرابي في الغالب (وتتميز عن أبي سعيد رواية الشعر عليه) اذ لا تتخللها سوى رواياته مسبوقة لبعض شعر جرير عن عمارة المعاصر لأبي تمام . والذي ربما كان لقيه وأخذ عنه ، على الرغم من شكنا في ذلك .

---

(٣٥) أخبار أبي تمام ص (٧٢) .

(٣٦) تهذيب اللغة ج (١) ص (٢٤) .

(٣٧) انباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي — تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم — دار الكتب ١٩٥٠ — ١٩٧٣ ج (٤) ص (٦٤) .

(٣٨) الفهرست (١٨٠) وفي تكملة النهيان السيوطي ص (٩٦) انه لقي أبا عمرو الشيباني وابن الاعرابي.وينقل الموشح للمرزباني بتحقيق البجاوي ص (٥٧) عن أبي سعيد الضرير قوله : سمعت الاصمعي يقول . . . . . .

اما عدم انتشار الكتاب واشتهاره فنعزوه لسببين : الأول أن الكتاب لم يؤخذ عن أبي تمام ، شأنه في ذلك شأن بقية كتبه التي ضن بها آل سلمة ، ولم يظهروها الى ان اضطرهم ضيق الحال الى بيع نفائس خزانة كتبهم ، وكان ذلك بعد وفاة أبي تمام . وهذا السبب ساعد على عدم اشتهار هذا الكتاب ، ولكنه لم يكن وحده ليمنع من انتشاره ، كما لم يمنع من انتشار بقية كتب أبي تمام (كالحماسة ومختار اشعار القبائل) أو لم يضف اليه سبب آخر تضافر معه على الحد من شهرة هذا الكتاب ، بحيث لم يذكره صاحب الفهرست أو غيره ممن ترجم لأبي تمام . هذا السبب هو — في اعتقادي — ان الكتاب كان على شكل مسودة لم يكمله أبو تمام ولم يبيّضه . يدلنا على ذلك النقصير الواضح في استيفاء كامل نقائض جرير والأخطل . فمثلا لم يذكر قصيدة جرير (الديوان ص ٨٣٤) :

أَبِنْتَ رواح القوم أم لا تروّحُ : نعم ، كل من يعنى بجُمل مُتَرَّحُ

ونقيضها الأخطل (الديوان ص ٧٤٩)

الا رحل الله الأخلاّء كلهم : فداء لغوث حيث أمسوا واصبحوا

كما جاء في ديوان جرير — غير القصيدة السابقة — ما ينوف على ٣٥٠ بيتا قصائد تضمنت هجاء الأخطل ، وجاء في ديوان الاخطل من القصائد المتضمنة هجاء جرير مما يقارب ٢٠٠ بيت ، كلها اخلّ بها كتاب نقائض جرير والأخطل ، في حين حوى الكتاب نقائض لغيرهما كزفر بن الحارث ، وعمرو بن مخلاة الحمار ، وجواس بن القعطل الخ ... مما يوحي بأن أبا تمام كان ينوي التوسع في الكتاب ، ولكنه لم يتمّه كما اراد له أن يتم . ويعزز مما ارتأيناه سوء في التبويب ، واغفال لذكر كثير من الايام والحوادث ، مع التوسع في ذكر غيرها من الوقائع ، ثم انهاء الكتاب

بذكر سبب البدء في التهاجي بين الشاعرين - مع ان المفروض عقلا ان يذكر ذلك في اول الكتاب .

كل هـذا ، مضافا الى ان ابا عمرو الشيباني والأصمعي قاما بعمل هذه النقائض (٤٠) ، وربما بشكل أجود واكمل ، قد يفسر السبب في قلة الاهتمام بكتاب ابي تمام ، فلم يرزق الكتاب غير المنقح هـذا الشهرة التي رُزِقَها غيره مـن كتبه .

خامسـة :

المطالع لكتب الأدب يلاحظ كثرة الاحالات على نقائض جرير والفرزدق ، مع ندرة ذكر نقائض جرير وغيره من الشعراء ، كالاخطل ، وعمر بن لجأ ، وكُلٌّ عَمِلَه ائمةٌ مشهورون ، كالاصمعي ، وابن حبيب ، وابن عمرو الشيباني . ولكن نقائض جرير والفرزدق بقيت تستحوذ دائما على اهتمام العلماء بها . ولعل ذلك كان بسبب غزارة مادتها ، وامتداد فترة الملاحاة بين الشاعرين ، وكون النقائض الاخرى جاءت عرضا بسبب تميز شاعر مـا لأحدهما . فالأخطل حكم للفرزدق على جرير عند بشر بن مروان (٤١) ، وعمر بن لجأ كان محطبا للفرزدق ، مما دعـا جريرا لتسقط عورات شعره ، ودعـا عمر الى تشويه شعر جرير (٤٢) فاستدامت المهاجـاة بينهمـا .

لكننا نرى ميزة خاصـة للمهاجاة بين جرير والأخطل لا نراها في مهاجاته لغيره من الشعراء ، وهي الصفة السياسية لهذه المهاجاة .

---

(٤٠) الفهرست ص (١٨٠) كما مر سابقا .

(٤١) نقائض جرير والاخطل ـ تأليف الدكتور عبد المجيد المطلبي ص (٦١) وما بعدها .

(٤٢) راجع سبب المهاجاة بين جرير وعمرو بن لجأ ديوان الاخير ص (٦) وما بعدها ، نقلا عـن طبقات الشعراء والموشح والاغاني والخزانة . .

فنيها حمل جرير ايام القيسية ، مشيدا بأيام قيس ، مفتخرا بهم في خضم هجومه علـى تغلب ، التي كان بينها وبين القيسيين وقائع وحروب في ذلك العهد . هذا الدفاع الذي كان في ظاهره تعييرا للأخطل بأيام قيس علـى تغلب ، وكان في حقيقته انحيازا ، واتخاذ موقف سياسي معاضد للقيسيين ضد منافسيهم ، ومحاماة عنهم في وجه تحريض الأخطل لرجال الدولة عليهم. وقد كان لجرير في ايـام يربوع وتغلب مندوحة عن ذكر ايام قيس ، كما كان في غنى عن نقض قصيدة الأخطل : (عفا واسط مـن آل رضوى فنبتل) التي لم يتعرض الأخطل بها لذكر جرير وقومه ، لولا انه وجد في هذه المهاجاة فرصة للدفاع عن قيس دون التعرض لغضب اليمانية ، الذين كان كثير منهم ذوي مراكز مرموقة في الدولـة . ونرى انه اغتنم فرصة وجدها سانحة في الرفع من شأن قيس والحط من تغلب ، وهي قبيلة لم يكن لها شأن في الدولة بسبب دينها ، فاتخذ مـن هجائها وسيلة لنشر مآثر قيس ومفاخرها دون أن يثير كبير سخط عليه في أوساط الفئـة الحاكمة ، التـي كان يطمع فـي نوالها .

وقد كان متوقعا ان تساعد هذه الصبغة السياسية على سعة انتشار قصائد جرير في هجـاء الأخطل ونقائضها من قصائد الأخطـل ، وكانت بالفعل مدعاة لاشتهارها ، بحيث اختار ابو زيد القرشي ملحمة جرير من ضمن نقائضه للأخطل (٤٣) ، كما ارتأى ابن حبيـب والسكري ان يبدءا ديوانيهما بقصيدتين من نقائضهما (٤٤) ، وعلى الرغم من كل هذا لم يكتب لهذه النقائض مـن الشيوع بين الدارسين والمتأدبين مـا كتب لنقائض جرير

---

(٤٣) راجع : جمهرة اشعار العرب تحقيق علي محمد البجاوي ـ الطبعة الاولى ـ دار نهضة مصر ـ ص ٨٨٦ .

(٤٤) القصيدة الاولى في ديوان جرير ـ صنعة محمد بـن حبيب ـ هي (حي الغداة برامة الاطلال) ، والاولى في ديوان الاخطـل ـ صنعة السكـري ـ هي (عفا واسط من آل رضوى فنبتل) .

والفرزدق . ولعل ذلك راجع لضخامة الثروة اللغوية التي احتوتها الأشعار ومهما كان السبب فان ما وصل الينا عن نقائض جرير والاخطل لم يتعد بعض أسماء من قاموا بعملها ، ثم هذا الكتاب النفائس غير المتبع ، والذي يشك في مؤلفه ؛ وهو بحسر كم عرفناه الكثير من تراثنا الذي ؛ ، احد شاعر ذكر شعراء مجيدين عاصروه ، وكم عنى كتاب على اقل تقدير تناولت موضوعه لاستغناء الدارسين به عنها . . .

وسواء أكان الكتاب هذا لأبي تمام أم لغيره ، وسواء أكان مسودة أم كتابا كاملا عبثت به يد الزمن ، فاسقطت بعض أوراقه وتشوهت من ترتيبه ، فانه يبقى ذا قيمة كبيرة ؛ فقد حفظ لنا نصوصا شعرية لم ترد في غيره ، ونقولا لغوية ذات فائدة عن علماء كانوا ائمة عصرهم ، واخبارا تلقي الضوء على الصراع السياسي الذي شهدته تلك الفترة من الزمن ، وتأثير الحوادث في الحركة الشعرية التي رافقتها انذاك .

وعساني أكون ارتكبت شططا في تقديراتي ، وعساني أكون اصبت ، ولعل غيري من المتفرغين يطلع على نصوص لم تحضرني ، توصله الى ما استنتجتُ أو الى خلافه . ولكن بحثي هذا يبقى محاولة للوصول الى حقيقة يصعب اثباتها بما توفر لدينا من معلومات ، مما دفعني الى كثير من التقدير والحدس ، أرجو ان يقيض لي الاطلاع على ما يؤكده في المستقبل . والله أسأل ان يوفقني الى الصواب ، انه نعم الهادي ونعم المعين .

المؤلف